الباب العشرون

باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد اللّه عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

قناة التأصيل العلمي

http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)





١

الباب العشرون: باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

ما علاقة الباب بما قبله؟

لما ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- في الباب الذي قبله: التحذير من الغلو في الصالحين وأنه سبب لكفر بني آدم، وتركهم دينهم

ذكر في هذا الباب الغلو في قبورهم لأنه نوع من الغلو فيهم

ما معنى التغليظ؟

بيان شدة الأمر، خلاف التسهيل او التخفيف

كيف يعبد الله عند قبر رجل صالح؟

- الدعاء عند القبر
- الصلاة عند القبر
- الذبح عند القبر

الفاعل يعبد الله بهذه العبادات

- لكنه فعلها عند القبر رجاء أن تُقبل
- وأن لها مزية عن العبادة في مكان آخر

وهذا مبني على ظن فاسد

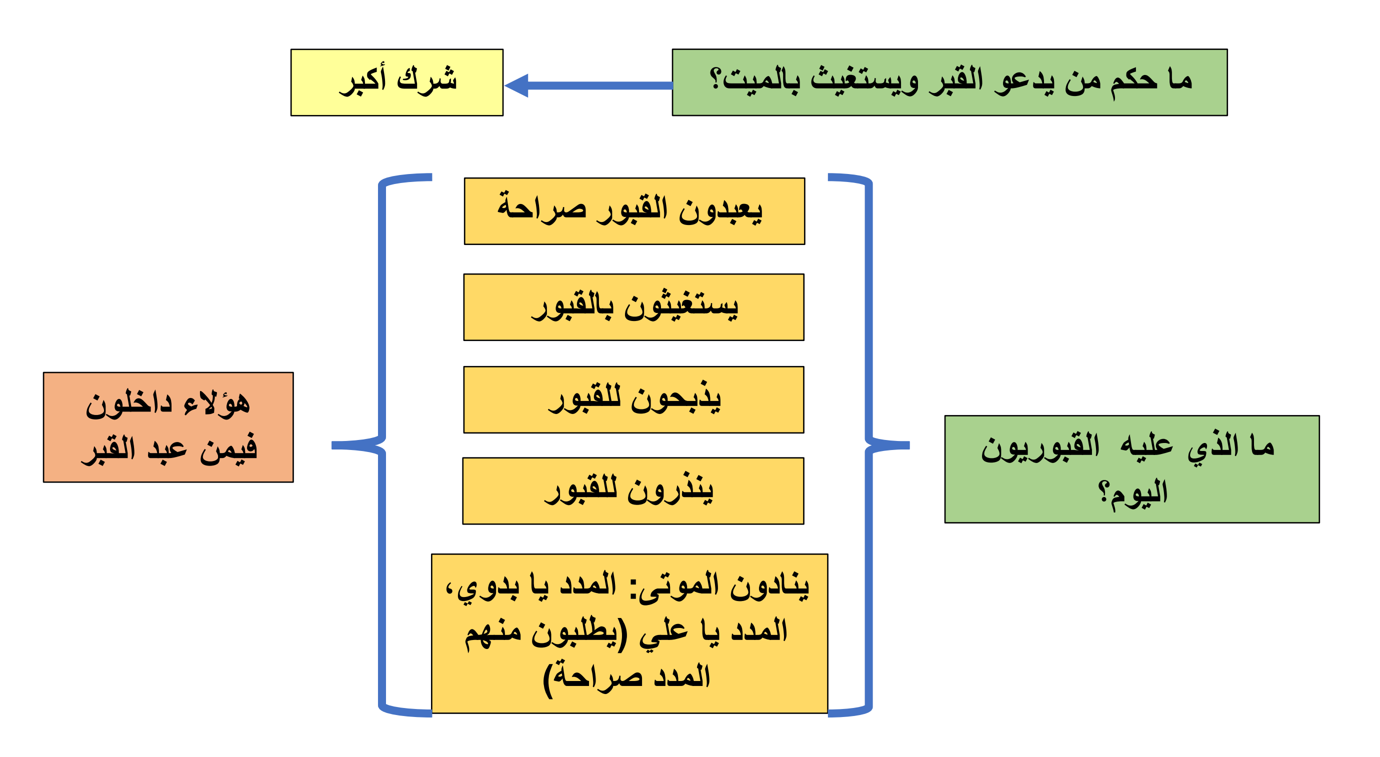
- لأن القبور ليست مكانًا للعبادة
- ولأن العبادة عندها وإن كانت خالصة لله فهي سبب للشرك
- لأن الرسول -ﷺ- حذر من العبادة عند القبور سدًّا للذريعة

فإذا كان يعبد الله مخلصًا له العبادة لكن عند القبر

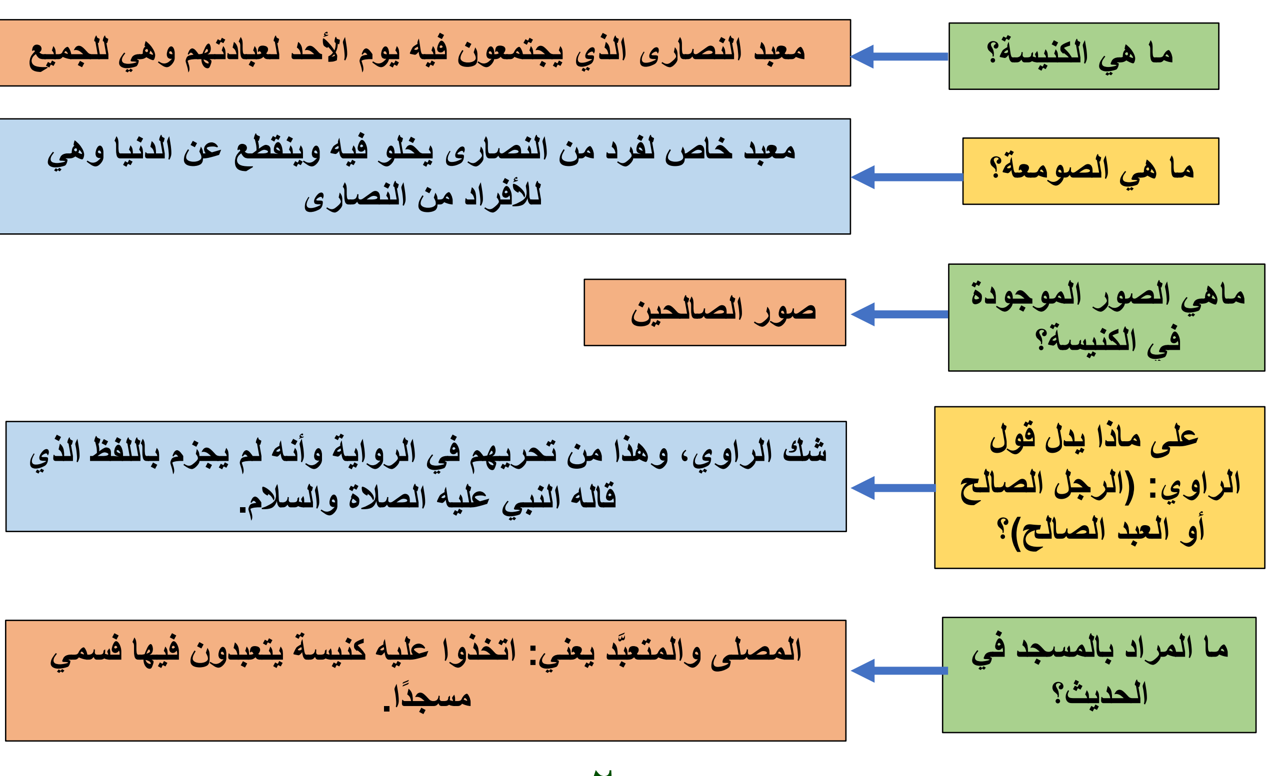
فهذا وسيلة وطريق إلى الشرك

وهو محرم





في الصحيح عن عائشة: أن أم سلمة -رضي الله عنهما- ذكرت لرسول الله -ﷺ- كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)







ماذا يفعلون بصور الصالحين؟

← ينصبونها في الكنيسة من باب الغلو في الصالحين وتخليد شخصياتهم وتعظيم الصالحين وتعظيم العظماء ولو كانوا غير صالحين

← هذا لا يجوز في الإسلام لأنه وسيلة إلى الشرك ولا سيما في مواطن العبادة كالمساجد فهذا الأمر أشد

ما معنى (شرار)؟

← أشد الناس شرًّا، لأن معصيتهم فوق كل معصية

من هم شرار الخلق؟

← من بنى المسجد على القبر أو صور الصور ونصبها من تدركهم الساعة وهم أحياء

لماذا اعتبروا شرار الخلق؟

← لأنهم فتحوا للناس باب الشرك بهذا الفعل وتسببوا في انحراف الأمة بسبب البناء على القبور

من أول من بنى على القبور في الإسلام؟

← يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "أن أول من بنى على القبور في الاسلام هم الشيعة الفاطميون ثم الصوفية"

ولا تزال الأمة الإسلامية تعاني من شر هذه القبور وفتنتها وحدوث الشرك فيها، وأصبحت هذه المساجد المبنية على القبور أوثانا تعبد من دون الله، ويظن أصحابها أن ذلك من الإسلام وأن من أنكره فهو خارج عن الإسلام

(فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل)

من قائل هذه العبارة؟

← شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

من هم (هؤلاء)؟

← اليهود والنصارى

ما هي الفتنتين التي جمعوها ؟

← فتنة القبور

← فتنة التماثيل



ما المقصود بفتنة القبور؟

الغلو في القبور وتعظيم القبور حتى تتخذ متعبدات وهذه فتنة عظيمة في الأمم السابقة وفي هذه الأمة

ما المقصود بفتنة التماثيل؟

مثل قوم نوح وقعوا في الشرك بسبب نصب التماثيل

اليهود وقعوا في الشرك بسبب تمثال العجل الذي عمله السامري

النصارى وقعوا في الشرك بسبب نصب الصليب على صورة المسيح بزعمهم

ويُخشى أن يقع الشرك في هذه الأمة بسبب نصب التماثيل للعلماء والعباد الصالحين فهذه فتنة عظيمة حذر منها النبي ﷺ

ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله -ﷺ- طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال -وهو كذلك-: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه

ما معنى (لما نزل برسول الله ﷺ)؟ ← يعني نزل به الموت عليه الصلاة والسلام

ما معنى (طفق)؟ ← أي جعل يفعل ذلك

ما معنى (يطرح الخميصة)؟ ← أي يضعها، والخميصة: كساء له أعلام أي فيه خطوط

ما معنى (على وجهه)؟ ← أي يغطي وجهه بها وهو في هذه الحالة

ما معنى (فإذا غتم بها كشفها)؟ ← أي ضيقت نفسه -عليه الصلاة والسلام- كشفها من أجل أن يتنفس

ما معنى (فقال -وهو كذلك-)؟ ← أي في هذه الحالة الحرجة، لم ينشغل عن الدعوة إلى التوحيد وإنكار الشرك ونصيحة الأمة صلوات الله وسلامه عليه



ما مناسبة حديث البخاري ومسلم (لما نزل برسول الله ﷺ.....) للباب؟

أنه لما شعر -عليه الصلاة والسلام- بالموت خشي على أمته أن تفعل عند قبره ما فعل مَن قبلَها من الأمم عند قبور الأنبياء والصالحين فلم يترك الفرصة تذهب وإنما استغلها بالنصيحة للأمة عليه الصلاة والسلام

فإذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يحذر من الشرك وهو في هذه الحالة فهذا دليل على أن التحذير من الشرك أمر متعين

وأنه يجب على الدعاة أن يهتموا بهذا الأمر اهتمامًا بالغًا قبل غيره، قبل أن يحثوا الناس على الصلاة والصيام وترك الربا وترك الزنا وترك شرب الخمر، قبل ذلك ينهونهم عن الشرك

لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت باقي الأعمال وأما إذا فسدت العقيدة فلا فائدة في الأعمال كلها ولو ترك الربا، وتصدق بماله، وصلى الليل والنهار، وصام الدهر فإن أعماله تكون هباءً منثورًا لا فائدة منها

وأما إن كان موحدًا خاليًا من الشرك فلو وقع في الكبائر ولو وقع في الزنا ووقع في الربا ووقع في المحرمات دون الشرك فإنه يُرجى له المغفرة وإن عُذب بذنوبه فإنه لا يخلد في النار وهو مؤمن موحد حكمه حكم المؤمنين

فكيف إذا نهتم بجوانب فرعية أو جزئية ونترك هذا الأمر الخطير يعج في جسم الأمة الإسلامية ولا نُحذّر منه ولا ندعو إلى تركه بحجة أننا نريد أن نجمع الأمة كما يقولون

ما هو صميم الدعوة؟

صميم الدعوة هو ما جاءت به الرسل من أولهم إلى آخرهم للتحذير منه (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)

فالعبادة لا تنفع مع وجود الشرك فهذا أمر عظيم



من خلال الحديث ما الذي خشيه النبي -ﷺ- على أمته؟

خشي على أمته أن تفعل مثل ما فعلت اليهود والنصاى بقبور أنبيائهم حيث اتخذوها أمكنة للعبادة

عللي: دُفن الرسول -ﷺ- في بيته في حجرة عائشة داخل الجدران وتحت السقف لا يراه أحد، ولم يدفن في البقيع؟

صيانة لقبره -ﷺ- من أن يفعل عنده كما فعلت اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم

شبهة

أن مسجد الرسول -ﷺ- مبني على القبر فهذا دليل على جواز البناء على القبور بزعمهم

الرد

أن النبي -ﷺ- لم يُدفن في المسجد وإنما دُفن في بيته خارج المسجد فالبيت منفرد عن المسجد وفي معزل عن المسجد وإنما أُدخل البيت في المسجد بعد عهد الخلفاء الراشدين في وقت الوليد بن عبد الملك، لما أراد أن يوسع المسجد عمم التوسعة من جهة المشرق فأدخل حجرة النبي -ﷺ- ، ولم يكن هذا بمشورة أهل العلم وإنما كان هذا عمل الخليفة، ولكن مع هذا فالبيت لا يزال على شكله وحيازته والمسجد لا يزال على وضعه والحمد لله وما يحصل من الناس الجهال إنما يكون في مسجد الرسول -ﷺ- وليس عند القبر لأن القبر بعيد عنهم ومصون عنهم ولا يرونه، ولهذا لما دعا النبي ربه قال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) استجاب الله دعاءه فصانه في بيته، وأحيط بالجدران التي تمنع رؤيته والوصول إليه

كلها محرمة

- البناء على القبور
- العبادة عند القبر
- نصب الصور والتماثيل
- إضاءة المقابر بالانوار

كلها وسيلة إلى الشرك



ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي -ﷺ- قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلًا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)

أن الخُلة لا تقبل الاشتراك فالخلة لا بد أن تكون لواحد وهي أعلى درجات المحبة

أن عباد الله وأنبياؤه كلهم يشتركون في المحبة فالله تعالى يحب التوابين والمتطهرين والمحسنين والمتقين، ولكن الخلة لم تحصل إلا لإثنين فقط هما: محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام

وعلى فرض ولو صح للنبي -ﷺ- وجاز له أن يتخذ خليلًا من أمته لاتخذ أبا بكر خليلا وهذا دليل على فضيلة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأنه أحب الناس إلى الرسول عليه الصلاة والسلام

وفيه إشارة على استخلاف أبي بكر من بعده لأن الرسول -ﷺ- قال هذا في آخر حياته كما أنه في مرض موته أمر أبا بكر أن يصلي بالناس

وفي ذلك رد على الرافضة الذين يبغضون أبوبكر ويطعنون في خلافته

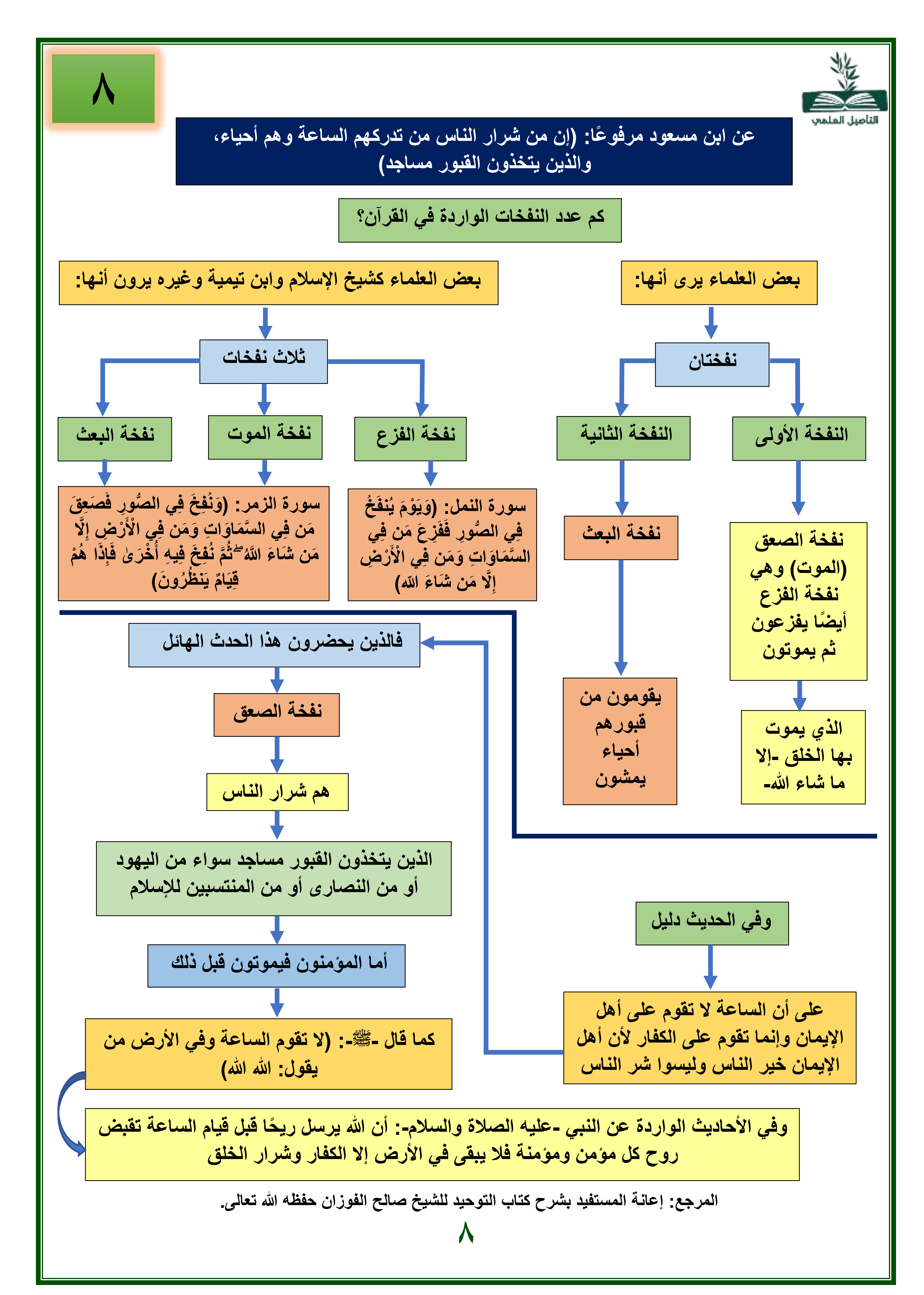
(ألا وإن من كان قبلكم) ← (ألا) حرف تنبيه

(ألا فلا تتخذوا القبور مساجد) ← (ألا) مرة ثانية لأجل التنبيه والتأكيد

(فإني أنهاكم عن ذلك) ← (أنهاكم) تأكيد بعد تأكيد لأهمية الأمر

اتخاذ القبور مساجد على معنيين:

- اتخاذ مصليات يصلى عندها وإن لم يبن مسجد ← وهذا المراد بهذا الحديث
- أن يبنى عليها مسجد أو قباب كما حصل من اليهود والنصارى وكما حصل في القرون المتأخرة من هذه الأمة


٨
التأصيل العلمي
عن ابن مسعود مرفوعًا: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد)
كم عدد النفخات الواردة في القرآن؟
بعض العلماء يرى أنها:
نفختان
النفخة الأولى
نفخة الصعق (الموت) وهي نفخة الفزع أيضًا يفزعون ثم يموتون
الذي يموت بها الخلق -إلا ما شاء الله-
النفخة الثانية
نفخة البعث
يقومون من قبورهم أحياء يمشون
بعض العلماء كشيخ الإسلام وابن تيمية وغيره يرون أنها:
ثلاث نفخات
نفخة الفزع
سورة النمل: (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللهُ)
نفخة الموت
نفخة البعث
سورة الزمر: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)
فالذين يحضرون هذا الحدث الهائل
نفخة الصعق
هم شرار الناس
الذين يتخذون القبور مساجد سواء من اليهود أو من النصارى أو من المنتسبين للإسلام
أما المؤمنون فيموتون قبل ذلك
كما قال -ﷺ-: (لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله الله)
وفي الحديث دليل
على أن الساعة لا تقوم على أهل الإيمان وإنما تقوم على الكفار لأن أهل الإيمان خير الناس وليسوا شر الناس
وفي الأحاديث الواردة عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: أن الله يرسل ريحًا قبل قيام الساعة تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فلا يبقى في الأرض إلا الكفار وشرار الخلق
المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.
٨